عزام . فمن الواضح ان هذا المصير لبني البشر قد أخذ من تفكيرها الشيء الكثير ، فهناك قصتاها « هواجس » و«لا ليس لشكور» والأخيرة منهما غاية في الرقة ودقة الاحساس، تصور والد « شكور » الذي عمل طيلة حياته بصناعة التوابيت وبيعها يتشاءم اليوم من عمله ويرغب في تغييره حين مرض ولده الصغير وخشي أن يصبح ذلك التابوت القصير من نصيبه . وعاف تجارة الموت « وراح يهوي بالفأس على النعش الصغير في ضربات عصبية مجنونة متلاحقة ، فما خلاه الا حطاما وراح يبعثرها بقدميه » .

الواقع ان فكرة الموت كثيراً ما كانت تسيطر على الكاتبة ، وتوحي لها بتأملات وخواطر عديدة ، وتتردد اوصاف الميتين اكثر من مرة في قصصها « فالوجه شمعي شاحب ، والفم محشو قطنا ، والعينان زجاجيتان نصف مفتوحتين » . ومع هذا فلم تخفها فكرة الموت ولم تفزعها النهاية المحتومة . انها هنا تذكرنا بالكاتب الساخر الواقعي ارنست همنجواي الذي ترجمت له هي نفسها مقالة نشرتها في مجلة الاداب عام ١٩٦١ بعنوان « ارنست همنجواي ، حي وسط الموت » تقول احدى فقراتها :

« كانت الحياة بالنسبة لهمنغواي شيئا لا ينفصل عن الموت ، بل هي صراع متقابل يتغلب فيه ابطاله لا على الخوف من الموت فحسب ، بل على الخوف من تعقدات الحياة والتفكك الذي يهدد الفرد . ان الحياة هي الحياة الحقة ، وهي العمل والقوة الخلاقة التي تمد البطل بالقوة للصراع » .

كانت المرة الوحيدة التي ذكرت فيها سميرة الموت صراحة وباحساس شامل غامض يوم فاجأت صديقتها وزميلتها الاديبة السورية السيدة الفة ادلبي بقولها : « ذات ليلة ستفاجأين بنعيي » ولم يكن ذلك قبل وقت طويل من حادث وفاتها رحمها الله »(٤) .

وبعد ، فقد كانت سميرة عزام كاتبة ملتزمة ، لم تخرج عن نطاق مجتمعها وبيئتها بما فيهما من آفات وأمراض اجتماعية ، ولم تكف عن النقد والتحليل لمختلف الاوضاع والاوساط ، موحية بالحل والاصلاح احيانا ، كما تميز اسلوبها وتناولها للقصص بالقيم الثلاث التي تميز القصة الناجحة وهي : الصدق والاخلاص والانسانية . اما تعبيراتها الجميلة الموحية ، والكلمات التي كثيراً ما تتحول في قلمها الى انغام ، فيكفينا دليلا عليها، الى جانب ما مر من نصوص ، الجمل والعبارات القصيرة التالية :

« وفي تلك الليلة انكرت مخدتها راسها القلق » .
« واجتمع الرجال على واجب الاموات ، ثم انفضوا عن رحمة الاحياء » .
« والتفت حسن الى بيته ، كان ما يزال مشدودا بكرامة ، جدرانه البيضاء تشرب فضة القمر ، ويغسله عطر زهر اللوز بسخاء ربيعي .. » .
« ولم يكن ثمة صوت يخدش صمت الليل الا صوت ديك ارعن لا يبالي ان يصيح حتى في ليل مات قمره » .

لم يكن كثيرا على سميرة عزام ان ينعتها الناقد العربي الاستاذ رجاء النقاش بأفضل كاتبات القصة القصيرة في أدبنا المعاصر(٥) . اما فلسطين فقد خسرتها كاتبة أدبية ناجحة، وخسرتها مناضلة حرة مجاهدة ، ولا يعوض عن فقدها سوى عنايتنا بما خلفت من قصص ، وما أبقت من آثار جميلة تحمل المثل والمبادىء التي عاشت لها وماتت من أجلها ، وأولها : حب الوطن والتضحية في سبيله بالروح والنفس والمال .

---

٤ ــ **الاداب** ، يناير ١٩٦٨ .
٥ ــ **المصدر نفسه** .